

العلاقات الدعوية بين الأمة الإسلامية وغيرها

الدكتور خميس بن عاشور

جامعة باتنة



والتدليس، وهنا يأتي دور العلاقات الدعوية الشاملة لتصحيح الأوضاع. والدعوة ليست مهمة تختص بها فئة معينة دون فئة أخرى، فكل مسلم له نصيب منها وذلك بحسب مهامه ووظائفه، والمقصود بالدعوة الإسلامية تعريف الناس كافة بمزايا الإسلام من أجل إقناعهم بتعاليمه الهادية إلى سعادة الدارين عن طريق التعليم والإرشاد والدلالة.

والدعوة الإسلامية شاملة لجميع الميادين وذلك لشمولية الإسلام نفسه ﴿مَا فَرَّقْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَيْ رَبِّهِمْ

تعمل الأمم العظمى على نشر مصطلحاتها الثقافية عبر مختلف الوسائل لأن ذلك يجلب لها المنافع المختلفة، ونراها في هذه العملية تركز على الجوانب الإيجابية من تلك الثقافة وأما الجوانب السلبية مثل العقلية الاستعمارية فإنها تحاول أن تحسن صورتها على أساس أنها عملية إدخال الحضارة للشعوب الهمجية. وعلى العكس من ذلك تعمل تلك الأمم بكل ما تملك من ترسانة دعائية إعلامية على تشويه ثقافة الغير ولا سيما الثقافة الإسلامية عن طريق التضييل الإعلامي

١٥٨، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ الفرقان: ١.

ومن السنة النبوية يكفي للدلالة على هذه العالمية الحديث المتفق على صحته وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي... وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعث إلى الناس عامة). وفي رواية لمسلم: (وبعث إلى كل أحمر وأسود). وفي رواية أخرى: (وأرسلت إلى الخلق كافة).

وتطبيقا لهذا المبدأ أرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى زعماء العالم آنذاك يدعوهم بدعوة الإسلام، فبعث دحية بن خليفة الكلبي وبعث عمرو بن أمية الضمري إلى رؤساء الروم والفرس، وبعث إلى النجاشي ملك الحبشة. وبعث شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغساني أحد عمال الرومان بالشام. وأسلم بسبب ذلك الكثيرون باستثناء

مُحْشَرُونَ ﴿الأنعام: ٣٨﴾ ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَضَلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ الإسراء: ١٢. وهو الدين الذي أراده الله في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، الدين الذي كمل وتم ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ المائدة: ٣. وقد شمل هذا الكمال المحاور الأساسية للحياة البشرية من عقيدة وشرعية وأخلاق، لذلك لا مجال في الإسلام للزيادة فيه أو النقصان وأما المجتهدون فإنهم لا يشرعون وإنما يقومون بمقاربات شرعية الهدف منها تنظيم شؤون الحياة في إطار الأصول العامة للدين.

إن عالمية الإسلام وإنسانيته أمر تؤكدُه نصوص الكتاب والسنة ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ النساء: ٧٩. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ سبأ: ٢٨. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الأنبياء: ١٠٧. ﴿قُلْ يَتَّبِعُوا النَّاسَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ الأعراف:

اليوم بتداخل المصالح والاشترك في المآرب حيث نجد الكثير من أهل الملل والنحل من ذوي الجنسيات المتنوعة يعيشون داخل حدود دار الإسلام، كما نجد أيضا الكثير من المسلمين يعيشون داخل حدود دار الصلح بل داخل حدود دار الحرب كذلك.

إن الأمة الإسلامية اليوم لا تستطيع أن تقدم لغيرها من الأمم إلا بقدر ما تأخذ منها من المنافع المادية، ولكن في الحقيقة فإن هذه الأمة تملك هذا الدين الذي بإمكانه أن ينقذ البشرية من مآسيها المتنوعة وذلك ما يؤكد ضرورة إنشاء علاقات دعوية متينة للوصول إلى أهداف كثيرة منها: تحقيق واجب دعوة غير المسلمين إلى الإسلام. ومنها: كسب احترام الأمم الأخرى عن طريق عرض حقائق الإسلام ورد أباطيل خصومه. ومنها: جلب المنافع المتنوعة بسبب تلك الروابط والصدقات التي تكونها العلاقات الدعوية التي قد تثمر في حالات عديدة أخوة إيمانية حقيقية

قيصر وكسرى.

وتؤكد هذه النصوص أيضا على فرضية الدعوة في الأمة ووجوب تبليغها إلى الإنسانية قاطبة دون تمييز أو انتقائية وذلك بهدف إقامة الحجة وأداء واجب الشهادة. ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ البقرة: ١٤٣، ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ آل عمران: ١٠٤، ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ الأعراف: ١٨١، ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ آل عمران: ١١٠. ولأجل ذلك يوظف الإسلام الأساليب والمناهج الدعوية المختلفة باختلاف موضوعات الدعوة الإسلامية التي تشمل أمة الدعوة وأمة الإجابة وذلك لأن المجتمعات المعاصرة تمتاز

١٩. ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الزمر: ٩. ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ فاطر: ٢٨. ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ البقرة: ٢٥٦. ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ يونس: ٩٩. ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ الكهف: ٢٩. ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاءُ﴾ الشورى: ٤٨.

وهنا ينبغي الإشارة إلى أن الالتزام الذي يؤديه المسلم نحو دينه ومجتمعه لا علاقة له بالإكراه وإنما هو امتثال لذلك الميثاق والعهد الذي أمضاه على نفسه عندما نطق بالشهادتين مؤمناً وعالماً أنه لا معبود بحق إلا الله عن قناعة واختيار ولذلك يرفض المسلم التخلي عن دينه مهما تعاظمت عليه البلايا، ولو كان الدين بالإكراه لأجبر اليهود والنصارى وغيرهم من أصحاب الملل والنحل على اعتناق الإسلام

وهذا في حد ذاته أكبر الأهداف لأن الأمة بذلك تكسب المزيد من الأصدقاء والمتعاطفين بل والإخوان أيضاً ويتوسع تبعاً لذلك مجال دار الصلح وعلى المدى القريب والمتوسط مجال أمة الإجابة، ونحن اليوم نرى كيف استطاعت دولة الصهاينة أن تكون لوبيات ضاغطة لدى الدول العظمى بسبب نشاطها الدعائي المضلل من أجل أهداف ظالمة وإجرامية فما بال الأمة الإسلامية تتقاعس من أجل أهداف عادلة وإنسانية.

إن الدعوة المعاصرة تواجهها اليوم تحديات على مستوى التنظير وقيم العصرنة فالعالم اليوم يتباهى بقيمتين أساسيتين هما: العلم والحرية أو المعرفة والاختيار. وفي المقابل نبذ الجهل والتضليل والتسلط والطغيان، والدعوة الإسلامية تعتمد في تحقيق النجاح على هدي الوحي الإلهي الذي سبقت نصوصه الكريمة الفكر البشري في تبني هاتين القيمتين ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ محمد:

على الكفار والمشركين عدم استعمال العقل السليم ووسائل الإدراك، واعتبر ذلك وسيلة إلى الهلاك في الدنيا والآخرة، ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ الأعراف: ١٧٩. بينما امتدح القرآن الكريم ذوي الأبواب والعقول النيرة واعتبر ذلك وسيلة إلى الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة. ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ آل عمران: ١٩٠. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الرعد: ٤. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْأُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ الزمر: ١٨.

إن جاذبية الإسلام لا تتحقق إذا عرض بمنهج تضليلي استشراقي، أو تغريبي علماني، واليوم ونحن في عصر العلم والحرية لا مجال للتدليس والتشويه وطمس الحقائق مثلما أنه لا

عندما كان للمسلمين دولة عظمى لا يرد لها طلب ولا يعصى لها أمر. وعلى العكس من ذلك فإن الحملات التنصيرية اليائسة في بلاد المسلمين ما هي إلا امتداد لنفوذ الدول العظمى ونشاطها الأمني الاستعماري المقنع فكيف يدخل المسلم في دين تبين لأهله قبل غيرهم بطلانه وفساده وأنه عبارة عن فلسفة وضعية ابتدعها بولس الفريسي المتعصب وأخرجها لهم من قمامة الفكر الهليني الوثني ثم فرضتها الدولة الرومانية بقوة الحديد والنار. ولذلك فقد أحسنت السلطات عندنا حيث تعاملت مع قضية التنصير على أنه مسألة أمنية لا تعدو كونها تضيقاً على عملاء وجواسيس يهدفون إلى تحقيق مصالح الأعداء ولا علاقة لذلك بحرية المعتقد التي يعتبر المسلمون فيها رواداً وأساتذة.

لقد كانت الدعوة الإسلامية المعاصرة ضحية الجهل والتسلط واللاعقلانية، ولقد نعى القرآن الكريم

واختيار حرّ لا جدال فيهما مع ما صاحب ذلك من مضايقات وترهيب ودعوات مضادة ممنهجة تدعو الناس للتهتك والفجور.

وكما يقال فإن التاريخ يعيد نفسه، فالرومان الأقوياء هيمنوا على اليونان عسكرياً ولكنهم خضعوا لثقافتهم القوية، وكذلك المغول والتتار فقد احتلوا بلاد المسلمين عسكرياً ولكنهم في النهاية خضعوا لثقافة الإسلام القوية، واليوم وعلى الرغم من وقوع أغلب الديار الإسلامية تحت نير الاستعمار الغربي المباشر وغير المباشر، إلا أن الإسلام اقتحم قلوب كثير من الغربيين فدخلوا في دين الله أفواجا؛ بل إن أحكام الشريعة الإسلامية بدأت تجد لها المكانة والاحترام داخل المنظومة القانونية العالمية، حيث يعتبرها المجتمع الدولي مصدراً من مصادر التشريع العالمي، وآخر ما يشار إليه في هذا المجال تلك الصيحات المتعالية في غمرة هذه الأزمة الاقتصادية المنادية

مجال لفرض المناهج، لاسيما إذا كانت فاسدة، وفي ظلال العلم والمعرفة والحرية المسؤولة تركز هذه العلاقات الدعوية أكثر فأكثر على النوعية، بعدما تحقق الكم المنشود والله الحمد ولاسيما في مجال أمة الإجابة، فصار لزاماً على الدعاة اليوم دعوة المصلين إلى إقامة الصلاة لا إلى الصلاة فحسب، كما هو الحال عندما كان كثير من المسلمين تاركين للصلاة، وصار لزاماً أيضاً دعوة المرأة المسلمة إلى الحجاب الشرعي لا إلى ترك التبرج فحسب؛ لأن أغلب نساء المسلمين اليوم متحجبات ولو بقليل من النوعيات الجيدة، ولقد بدأت الصحوة الإسلامية ولم تكن نجد في بعض الأوطان فتاة متحجبة واحدة أو شاباً مصلياً واحداً إلا الشيوخ والعجائز، أما اليوم فإن مظاهر الإسلام انتشرت مقارنة بما مضى من عهد قريب، وكل ذلك ودعاة الإسلام لا سلطة لهم تمكنهم من إرغام الناس على الالتزام؛ وإنما كل ذلك حصل عن قناعة وعلم

بل ويمكنه أن يتقي الله ولو بشق تمره.
وكما سبق ذكره فإن الدعوة الإسلامية ليست مهمة فئة معينة فحسب بل هي مهمة الأمة بمختلف مؤسساتها والنظام العالمي اليوم يؤسس علاقاته مع المؤسسات والدول والمنظمات الكبرى لا مع الأفراد والاجتهادات المنعزلة، ومع أن هذه الدول التي تنتمي إلى الأمة الإسلامية ودار الإسلام لها علاقات مختلفة مع بقية العالم إلا أن الأبعاد الوطنية الضيقة ترهن العلاقات الدعوية في بؤرة تلك الوطنيات مما يحتم التفكير مليا في وضع استراتيجية دعوية إسلامية لا تلغي المصالح الوطنية ولكن تعترف بها في الإطار الشمولي لمصلحة الأمة الإسلامية ودار الإسلام. والله الهادي إلى سواء السبيل.

باعتقاد البدائل ومن أهمها البديل الإسلامي، وكثير من الدول التي كانت لا تتحمل أي ذكر للإسلام وشريعته أصبحت اليوم مرغمة على الاستماع إلى آراء الخبراء بضرورة إيجاد البدائل بما فيها الإسلامية، ولذلك رأينا دولة لائكية مثل فرنسا تسمح بامتداد بعض البنوك الإسلامية على أرضها في محاولة لتحسين اقتصادها من الانهيار.

وبلا شك هناك الكثير من التحديات والقضايا المعقدة، والانطلاقة المنشودة تلزمنا بأن لا نترك شيئا من تلك الأمور للعشوائية، فالتحليل المتقنة والنظرات المحكمة كفيلة بكشف الداء واقتراح الدواء، والبعد الشمولي للدعوة الإسلامية لا يعني إهمال التفاصيل، فالمؤمن لا يحقر من المعروف شيئا؛

